المصدر ودلالته البلاغيّة في القرآن الكريم

الدكتور: أبو سعيد محمد عبد المجيد *

---

* الجامعة الإسلامية العالمية ـ ماليزيا

ملخص البحث:

إنّ هذا البحث يهدف إلى معالجة دلالات المصدر البلاغية في القرآن الكريم؛ لأنّ المصدر منبع الألفاظ العربية، وبه اتسعت اللغة، وترعرعت، وانفجرت منه الأساليب وانبجست منه المعاني، وهو عماد اللغة وأصل المشتقات جميعاً، وقد ارتبطت أهميته بفهم القرآن العظيم ونصوصه، وترعرع علمه في ركاب المفسرين وقام على أكتافهم، إذ راحوا يتتبعون معانيه المختلفة ودلالاته الإعجازية المتكاثرة في خضمَ شروحهم لمعاني الترتيل ووقوفهم على أحكام نصوصه.

يسعى هذا البحث إلى دراسة دور المصدر في علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، ويشتمل على التنكير في المصدر، والمصدر بدل أفعل التفضيل، والتاء في المصدر للمبالغة. ويتضمن كذلك التشبيه والمصدر والمجاز والاستعارة والكناية والمصدر، كما احتوى على الطباق والمقابلة والمشاكلة واللفّ والنشر وبراعة الاستهلال وجناس الاشتقاق.

توصلت هذه الدراسة إلى نتائج؛ أهمها أن التنكير في المصدر للدلالة على التعظيم والتفخيم والتعميم والتقليل والتحقير والتخصيص وغيرها. إنّ المصدر يكون بدل أفعل التفضيل مع (أشد) وغيره؛ للدلالة على معنى المبالغة. وقد تكون التاء في المصدر للدلالة على معنى المبالغة. يقوم المصدر بوظيفة التشبيه البليغ والتشبيه المرسل المجمل والتشبيه الصناعي. ويأتي المصدر للدلالة على معنى المجاز اللغوي والعقلي والمرسل. وللمصدر أثر في الاستعارة التصريحية والمكنية والتمثيلية. ويقوم المصدر بأثر فعّال في جناس الاشتقاق من أبواب الثلاثي المجرد وغيره.

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد:

فلا يزال القرآن الكريم زاخراً بالعجائب مملوءًا بالدرر والجواهر، يطالعنا بين حين وآخر، بما يبهر أصحاب العقول ويحيّر أولي الألباب وذوي الأبصار، بما فيه من الإشراقات الإلهية والفيوضات القدسية والنفحات النورانية، سيظلّ يمنح الإنسانية من علومه ومعارفه، ومن أسراره وحكمه؛ لأنّه الكتاب الذي لا تَفْنَى عجائبه ولا تَخْلُقُ جِدته ولا يَبْلَى على كثرة الرد.

حقًا أنّ المصدر منبع الألفاظ العربية وبه اتسعت اللغة، وترعرعت وانفجرت منه الأساليب وانبجست منه المعاني، وهو عماد اللغة وأصل المشتقات جميعًا، وقد ارتبطت أهميته بفهم القرآن العظيم ونصوصه، وترعرع علمه في ركاب المفسرين وقام على أكتافهم، إذ راحوا يتتبعون معانيه المختلفة ودلالاته الإعجازية المتكاثرة في خضمّ شروحهم لمعاني الترتيل ووقوفهم على أحكام نصوصه. وقد بدا لي أن العودة إلى هذه الكتب هي أحسن ما يؤصّل لهذا العلم في مجالها؛ لأنّها أقدم من عرض له، وحقّق له التنظير والتطبيق على أتمّ النصوص وأبلغها في قرون طويلة.

دور المصدر في علم المعاني:

التنكير في المصدر:

إن المصدر له دور كبير في الجملة؛ لأنه يقوم بما يقوم به الاسم من جهة والفعل من جهة أخرى، فهو يكون مبتدأ وخبرًا وفاعلاً ومفعولاً به وغيرها، كما يكون محلّى بال وغير محلى، فالتنكير له أغراض كثيرة تستدعيها البلاغة ويحتملها المقام، والسياق هو الذي يدل عليها، والقرآن العظيم كلام الله المُعْجِز وهو مليء بأغراض بلاغية، ومنها تنكير المصدر. وفيما يأتي عرض لبعض ما ورد فيه:

١ـ التعظيم والتفخيم:(١)

رجزا (البقرة: ٥٩)(٢)، وصلوات ورحمة (السورة نفسها: ١٥٧)(٣) وخزي (السورة نفسها: ٨٥)(٤) وشقاق (السورة نفسها: ١٣٧)(٥)، وتراضٍ وتشاور (السورة نفسها: ٢٣٣)، ورضوان (آل عمران: ١٥)(٦) وبغضب (السورة نفسها: ١١٢)(٧) ووصية (النساء: ١٢)(٨)، ورحمة وفضل (السورة نفسها: ١٧٥)(٩)، ولومة (المائدة: ٥٤)(١٠)، وبراءة (التوبة: ١)(١١)، وبرحمة ورضوان (السورة نفسها: ٢١)(١٢)، وموعظة وشفاء وهدى ورحمة (يونس: ٥٧)(١٣)، وغفلة (الأنبياء: ١)(١٤)، وظلما وزورا (الفرقان: ٤)(١٥) وترتيلا (السورة نفسها: ٣٢)(١٦)، واستحياء (القصص: ٢٥)(١٧)،

---

(١) كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، حسين محمد الطيبي، ت: د. هادي عطية مطر، ط١، عالم الكتب، مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧، ص: ٨٤.

(٢) تفسير أبي السعود، محمد بن محمد العمادي، الناشر إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان: ١: ١٨١، وانظر صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ١٤٠١هـ، ١٩٨١، ١: ٥٩.

(٣) المرجعان السابقان: ١: ١٨١، و١: ١٠٧.

(٤) المرجعان السابقان: ١: ١٢٦، و١: ٧٦.

(٥) تفسير أبي السعود: ١: ١٦٧.

(٦) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني: ١: ١٩.

(٧) المرجع السابق: ٢: ٧٢.

(٨) تفسير أبي السعود: ٢: ١٥٣.

(٩) المرجع السابق: ٢: ٢٦٣.

(١٠) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان: ١: ٦٢٣.

(١١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني: ١: ٥٢٦.

(١٢) المرجع السابق: ١: ٥٢٧.

(١٣) تفسير أبي السعود: ٤: ١٥٥.

(١٤) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني: ٢: ٢٥٨.

(١٥) تفسير أبي السعود: ٦: ٢٠٢.

(١٦) المصدر نفسه: ٦: ٢١٦.

(١٧) المصدر نفسه: ٧: ٩.

وبخالصة (ص: ٤٦)(١٨)، وفضلا (سبأ: ١٠)(١٩)، وويل (التطفيف:١)(٢٠)، ويسر (الفجر: ٤)(٢١)، وخسر (العصر: ٢)(٢٢).

قال تبارك وتعالى:

١ـ ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِيْنَ﴾ (البقرة: ٢): التنكير في (هدى) للتعظيم، يدل على فخامة هداية الكتاب وكمالها(٢٣).

٢ـ ﴿وَلَكُمْ فِيْ الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾ (البقرة: ١٧٩): بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تُنال غايته؛ إذ الشيء محل لضده، وعرّف (القصاص) ونكّر (الحياة) ليدل على أن في هذا الجنس نوعًا من الحياة عظيمًا لا يبلغه الوصف، وذلك؛ لأنّ العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحياة نفسين ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فإذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببًا لحياتهم. وقال الطيبي (ت: ٧٤٣هـ): «أي لكم في هذا الجنس من الحكم حياة عظيمة بأن لا يقتل جماعة بواحد»(٢٤).

وقال أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ): ومن إصابة فخر البلاغة بتعريف (القصاص) وتنكير (الحياة)؛ لأن المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة أو نوع من الحياة وهو الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل أوقى للقتل، وقالوا: أنفى للقتل وقالوا: أكف لقتل، وذكر العلماء تفاوت ما بين الكلامين من البلاغة من وجوه: أحدهما أنّ

---

(١٨) المصدر نفسه: ٧: ٢٣٠.

(١٩) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني: ٢: ٤٩.

(٢٠) المرجع السابق: ٣: ٥٣٥.

(٢١) المرجع السابق: ٣: ٥٧٦.

(٢٢) المرجع السابق: ٣: ٦٠١.

(٢٣) علم المعاني، درويش الجندي، ط٢، نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م: ٩٣.

(٢٤) كتاب التبيان، الطيبي: ٨٤.

ظاهر قول العرب يقتضي كون وجوه الشيء سببًا لانتفاء نفسه وهو محال. الثاني: تكرير لفظ القتل في جملة واحدة. الثالث: الاقتصاد على أن القتل هو أنفى للقتل. الرابع: أن القتل ظلمًا هو قتل، ولا يكون نافيًا للقتل(٢٥).

ويرى محيي الدين الدرويش أن التنكير هنا للتعميم الذي يتجاوز التخصيص؛ لأن القتل ليس وحده سببًا للقصاص، وإنما يدخل فيه جميع الجروح والشجاج؛ لأنّ الجارح إذا علم أنه إذا جَرَحَ جُرِحَ صار ذلك سببًا لبقاء الجارح والمجروح(٢٦).

يبدو لي أن كلا الوجهين سائغ في الآية، ولكنّ الأولى ما ذكره الطيبي وأبو حيان؛ لأن القصاص سبب لبقاء حياة كثير من الناس.

٣ـ **﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوْا فَأْذَنُوْا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُوْلِهِ...﴾** (البقرة: ٢٧٩). والتنكير في (بحرب) للتعظيم أي حرب عظيمة، ويحتمل أن يكون للنوعية، أي بنوع من الحرب غير متعارف لديكم(٢٧).

والفرق بين التعظيم والتكثير أن التعظيم يدلّ على ارتفاع الشأن وعلو المنزلة. وأما التكثير فهو يدل على الكميات والمقادير(٢٨).

٤ـ **﴿إِنَّ لَنَا لأَجْرًا....﴾** (الأعراف: ١١٣).

«وقرئ إن لنا لأجرًا على الإخبار، وإثبات الأجر العظيم وإيجابه كأنهم قالوا: لا بد لنا من أجر، والتنكير للتعظيم كقول العرب: إنّ له لإبلاً، وإنّ له لغنمًا يقصدون الكثرة»(٢٩).

ويرى الطيبي أن التنكير هنا لتكثير المقدار(٣٠).

٥ـ **﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي...﴾** (طه: ٣٩).

نكّر المحبة وأسندها إليه سبحانه، لأمرين مهمّين:

---

(٢٥) تفسير الكشاف، الزمخشري، ١: ٣٣٢، وتفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ط٢، دار الفكر العربي، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م: ٢: ١٥، وإعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م: ١: ٢٥٤، ٢٥٥، وتفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ٢: ١٤١.

(٢٦) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ١: ٢٥٥.

(٢٧) علم المعاني، درويش الجندي: ٩٢.

(٢٨) المرجع نفسه: ٩١.

(٢٩) تفسير الكشاف، الزمخشري: ٢: ١٠٢.

(٣٠) كتاب التبيان، الطيبي: ٨٤.

أ- ما في التنكير من الفخامة الذاتية كأنها محبة تعلو على الحب المتعارف المتبادل بين المخلوقات.

ب- ما في إسنادها إليه من الفخامة الإضافية، أي محبة عظيمة مني وقد زرعتها في القلوب وركزتها في السرائر(٣١).

٦- ﴿بَلْ هُمْ فِيْ لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيْدٍ﴾ (ق: ١٥): نكّر (خلق) هنا للتعظيم، أي خلق جديد له شأن عظيم وحال شديدة، حق من سمع به أن يهتمّ به ويخاف ويبحث عنه ولا يقصد على لبس في مثله(٣٢).

٢- **التنويع**: نحو: غشاوة (البقرة: ٧)(٣٣)، ومرض (السورة نفسها: ١٠)(٣٤)، وجنات (السورة نفسها: ٢٥)(٣٥)، وظلمًا (آل عمران: ١٠٨)(٣٦)، وشهادة (النور: ٤)(٣٧). قال تعالى:

أ- ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا...﴾ (النساء: ٦). والتنكير في قوله (رشدا) تنكير النوعية، ومعناه إرادة نوع الماهية؛ لأن الماهيات العقلية متحدة لا أفراد لها، وإنما أفرادها اعتبارية باعتبار تعدد المجال أو تعدد المعلقات، فرشد زيدٍ غير رشد عمرو، والرشد في المال غير الرشد في سياسة الأمة(٣٨).

ب- ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾ (البقرة: ٧).

تنكير العذاب هنا فيه إشارة إلى أنه نوع منه مجهول الكمّ والكيف ووصفه بعظيم لدفع الإبهام بقلته وندرته، والتأكيد بأنه بالغ حد العظمة(٣٩).

---

(٣١) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ٦: ١٩٤.

(٣٢) تفسير الكشاف، الزمخشري: ٤: ٥.

(٣٣) كتاب التبيان: الطيبي: ٨٤.

(٣٤) تفسير البحر المحيط، أبو حيان: ١: ٥٣، ٥٩.

(٣٥) تفسير أبي السعود: ١: ٦٩.

(٣٦) تفسير البحر المحيط، أبو حيان: ٣: ٢٧.

(٣٧) تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن محمد بن محمود النسفي، دار الفكر: ٣: ١٣٢.

(٣٨) تفسير الكشاف، الزمخشري: ١: ٥٠١.

(٣٩) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ١: ٢٩.

٣ـ **التقليل و التحقير**: قال تعالى:

أ ـ ﴿**لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُوْنَ**﴾ (آل عمران: ١٥٧). والتنوين في الموضعين للتقليل، إشارة إلى أن أيسر جزء من المغفرة والرحمة خير من الدنيا وأنه كافٍ في فوز المؤمن(٤٠). والفرق بين التحقير والتقليل أن التحقير يدل على انحطاط الشأن وانخفاض علو القدر، وأما التقليل فهو يدل على الكميات والمقادير(٤١).

ب ـ ﴿**وَلاَ تَمَسُّوْهَا بِسُوْءٍ...**﴾ (الأعراف: ٧٣).

التنكير هنا للتقليل والتحقير، أي لا تمسّوها بأدنى سوء(٤٢).

ج ـ ﴿**إِنَّا لَنَرَاكَ فِيْ ضَلالٍ مُبِيْنٍ**﴾ (الأعراف: ٦٠).

التنكير في (ضلال) للتحقير أي (ضلالة نزرة)(٤٣).

د ـ ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ (التوبة: ٧٢).

التنكير هنا للتقليل، أي قليل من رضوان اللّه خير من ذلك كله؛ لأن رضاه سبب لكل سعادة وفلاح؛ ولأن العبد إذا علم أن مولاه راضٍ عنه، فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم، وإنما تهنأ به برضاه، كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه، ولم يجد له لذة وإن عظمت(٤٤).

هـ ـ ﴿**إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا**﴾ (الجاثية: ٣٢).

التنكير في المفعول المطلق (ظنا) للتحقير أي أنه ظن حقير ضعيف(٤٥).

٤ـ **التقليل أو التعظيم**: قال عز من قائل:

أ ـ ﴿**يَخْرُجُ مِنْ بُطُوْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيْهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ...**﴾(النحل: ٦٩).

وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو لأن فيه بعض الشفاء؛ لأن النكرة في الإثبات تخصّ(٤٦).

---

(٤٠) تفسير البحر المحيط، أبو حيان: ٣: ٩٥، وتفسير أبي السعود: ٢: ١٠٤.

(٤١) علم المعاني، درويش الجندي: ٩١.

(٤٢) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ٤٥٩.

(٤٣) كتاب التبيان، الطيبي ٨٥.

(٤٤) مفتاح العلوم، السكاكي، مطبعة التقدم العلمية، مصر: ١٩٤.

(٤٥) علم المعاني، درويش الجندي: ٩٤.

(٤٦) تفسير البحر المحيط، أبو حيان: ٥: ٥١٣.

ب ـ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُد وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا...﴾ (النمل: ١٥).

تنكير (علما) للتقليل أو التعظيم والتكثير، والثاني هو المراد هنا؛ لأن اللّه تعالى أعطاهما علمًا عظيمًا كان مما يستغرب ويستعظم، مثل علم منطق الطير وسائر الحيوانات. وأما التقليل فبالنسبة إلى علم اللّه(٤٧).

٥ـ **الخصوصية:** قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ...﴾ (البقرة: ٩٦).

التنكير في قوله (على حياة) للتنبيه على أن المراد حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة التي يعمّر فيها الشخص آلاف السنين.

٦ـ **الإبهام:** قال عز وجل:

أ ـ ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ...﴾ (البقرة: ٥).

تنكير (هدى) للإبهام لكمال تضخيمه كأنه قيل: على أي هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره(٤٨).

ب ـ ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الذِيْنَ هَادُوْا....﴾(النساء: ١٦٠).

وتنكير (ظلم) للإبهام ليعلم أن أي نوع من أنواع الظلم يكون سببًا للعقاب في الدنيا قبل الأخرة(٤٩).

ج ـ ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ...﴾ (فاطر: ٢).

وتنكير (رحمة) للإشاعة والإبهام، أي: أي شيء يفتح اللّه من خزائن رحمته أية رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك مما لا يحاط به(٥٠).

٧ـ **التهويل:** نحو: خزي (البقرة: ١١٤)(٥١)، وسخط (آل عمران: ١٦٢)(٥٢)، قال تعالى: ﴿وَفِيْ ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِكُمْ عَظِيْمٌ﴾ (البقرة: ٤٩) وقال أيضا ﴿رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ...﴾ (العنكبوت: ٣٤).

---

(٤٧) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ٧: ١٨١.

(٤٨) تفسير أبي السعود: ١: ٣٣.

(٤٩) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ٢: ٣٧٢.

(٥٠) تفسير أبي السعود: ٧: ١٤٢.

(٥١) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ٩.

(٥٢) المرجع السابق: ١: ٢٤٢.

التنكير في (بلاء ورجزا) للتفخيم والتهويل(٥٣).

٨ـ الشدة: قال تعالى: أ ـ ﴿بَلِ الذِينَ كَفَرُوْا فِيْ عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ...﴾ (ص: ٢).

والتنكير في (عزة وشقاق) للدلالة على شدتها وتفاقمها(٥٤).

ب ـ ﴿الذِيْ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوْعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٤). والتنكير في (جوع وخوف) لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلها وأمنهم من خوف عظيم(٥٥).

٩ـ المطلق: قال تعالى: ﴿يَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الشَهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيْهِ...﴾ (البقرة: ٢١٧).

التنكير في (قتال) احترازا عن توهم التعيين، وإعلامًا بأن المراد مطلق القتال الواقع فيه أي قتال كان(٥٦).

١٠ـ عدم الاعتياد: قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا...﴾ (البقرة: ٢٣٣).

التنكير للإيذان بأنه فصال غير معتاد(٥٧).

المصدر بدل أفعل التفضيل:

حقاً أن أفعلَ التفضيل يدل على الأفضلية بين الشيئين اشتركا في صفة ما، نحو: (العلم أفضل من المال) ولكن أحياناً يعدل عنه ويستعمل بدله المصدر مع (أشد) وغيره، للدلالة على المبالغة. وبعد تتبعي في القرآن الكريم وجدت أن الكثرة الكثيرة من المصدر استخدمت تمييزًا مع (أشد) وغيره للدلالة على المبالغة. وفيما يأتي عرض لبعض منها.

أشدّ ذكرا (البقرة: ٢٠٠)، وأشدّ خشية (النساء: ٧٧)، وأشدّ منكم قوة (التوبة: ٦٩)، وأشد كفرا ونفاقا (السورة نفسها: ٩٧)، وأشد خلقا (النازعات: ٢٧)، وأشد منهم بطشا (الزخرف: ٨)، وأشد رهبة (الحشر: ١٣)، وأشد وطأً (المزمل: ٦). قال تبارك وتعالى:

---

(٥٣) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ٥٨، ١٢: ١٧٦، ٢: ٤٦٢.

(٥٤) تفسير النسفي: ٤: ٣٣.

(٥٥) المصدر نفسه: ٤: ٣٧٨.

(٥٦) تفسير أبي السعود: ١: ٢١٧.

(٥٧) تفسير أبي السعود: ١: ٢٣١.

أ - ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...﴾ (البقرة: ٧٤).

قال الزمخشري: «فإن قلت: لِمَ قيل أشد قسوةً وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب؟

قلت: لكونه أبين وأدل على فرط القسوة بالشدة كأنه قيل: اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوةً»(٥٨).

ب - ﴿وَالذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ...﴾ (البقرة: ١٦٥). استعمل (حبا) مع الأشدية بدل (أحب) للمبالغة(٥٩).

التاء في المصدر للمبالغة:

المصدر قد يكون مذكرا، نحو: علم وجهل وفهْم، وقد يكون مؤنثًا، نحو: دراية، ورحمة ونعمة وغيرها، ولكن قد يؤتى بالتاء في المصدر المذكّر للدلالة على المبالغة والاختصاص. قال تعالى: ﴿قَالَ يَاقَوم لَيْسَ بِيْ ضَلالَةٌ...﴾ (الأعراف: ٦١): جاء في الكشاف: «ضلالة: فإن قلت: لِمَ قيل ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا؟ قلت: الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ من نفي الضلال عن نفسه كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال، كما لو قيل لك: ألك تمر؟ فقلت ما لي تمرة»(٦٠).

وقال النسفي: «ولم يقل ضلال كما قالوا؛ لأن الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال، ثم استدرك لتأكيد نفي الضلال»(٦١).

ويشبه هذا لفظ (خالصة) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِيْ بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ...﴾ (الأنعام: ١٣٩). قال الأخفش: «(خالصة) أنثت لتحقيق الخلوص، كأنه حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة فجرى مجرى راوية ونسّابة»(٦٢).

---

(٥٨) تفسير الكشاف، الزمخشري: ١: ٢٩، وانظر تفسير النسفي: ١: ٥٧.

(٥٩) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ١١٢.

(٦٠) تفسير الكشاف، الزمخشري: ٢: ٨٥.

(٦١) تفسير النسفي: ٢: ٥٨.

(٦٢) معاني القران، الفراء، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م: ٢: ٢٨٨.

دور المصدر في علم البيان:

التشبيه والمصدر:

التشبيه في عرف علماء البيان: هو إلحاق أمر بأمر في معنى مشترك بينهما بأداة ظاهرة أو ملحوظة لغرض يقصده المتكلم(٦٣).

ويقول الرماني (ت: ٣٨٦هـ) في تعريفه: «هو العقد على أن أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسن أو عقل»(٦٤). وقال العسكري (ت: ٣٩٥هـ): «التشبيه: وصف بأن أحد الموصوفين ينوب منابَ الآخر بأداة التشبيه»(٦٥).

ويذهب السكاكي (ت: ٦٢٦هـ) إلى أن «التشبيه مستدع طرفين مشبها ومشبها به واشتركا بينهما من وجه وافترقا من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفان في الصفة أو بالعكس فالأول كالإنسانين إذا اختلفا صفة طولاً وقصرًا، والثاني كالطويلين إذا اختلفا حقيقة إنسانًا وفرسًا وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعين يأبى التعدد فيبطل التشبيه؛ لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفًا له بمشاركة المشبه في أمر، والشيء لا يتصف بنفسه كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما لرجوعه إلى طلب الوصف حيث لا وصفَ، وأن التشبيه لا يصار إليه لغرض وإن حاله تتفاوت بين القرب والبعد وبين القبول والرد»(٦٦).

فتعريف السكاكي تعريف جامع إذ تناول جميع أطراف التشبيه.

ويعرِّفه القزويني (ت: ٧٣٩هـ) بقوله: «التشبيه للدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى والمراد بالتشبيه ههنا ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد»(٦٧).

---

(٦٣) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت: ٢٨٨.

(٦٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ت: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨: ص: ٨٠.

(٦٥) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م: ٢٣٩.

(٦٦) مفتاح العلوم، السكاكي: ١٥٧ وما بعدها.

(٦٧) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ت: د. عبد المنعم خفاجي، ط٢، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ٤: ١٦.

وينقل التفتازاني (ت: ٧٩٢هـ) ما قاله القزويني ولكنه يوضح توضيحًا فقال: «هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر أخر في معنى بحيث لا يكون على وجه الاستعارة التحقيقية نحو رأيت أسدًا في الحمام، ولا على وجه الاستعارة بالكناية، نحو: أنشبت المنية أظفارها بفلان ولا على وجه التجريد، نحو: لقيت بزيد أسدًا ولقيني منه أسد... فإنّ في هذه الثلاثة دلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، مع أن شيئًا منها لا يسمّى تشبيهًا في الاصطلاح خلافًا لصاحب المفتاح في التجريد؛ فإنّه صرح بأن نحو رأيت بفلان أسدًا ولقيني منه أسد من قبيل التشبيه»(٦٨).

التشبيه سمة متميزة من سمات البلاغة في القرآن الكريم، وما فيه من دقة التعبير وروعة الأسلوب والجمال الفني فالمصدر له دور ـ ليس بقليل ـ فيه وهو يقوم مقامَ المشبه به حيث يضاف إليه. وبعبارة أخرى أنه يؤدي وظيفة معنى الحدث في المشبه به غالبًا. وأحيانًا أخرى يكون هو المشبه به للمبالغة وهو في القرآن الكريم كثير وفيما يأتي بيان ذلك:

التشبيه البليغ: وهو الذي حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه(٦٩)، قال تعالى:

أ ـ ﴿**وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَةِ الأُوْلَى...**﴾ (الأحزاب: ٣٣). التشبيه هنا بليغ(٧٠)؛ لأنَّ أداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه (إظهار المرأة من زينتها ومحاسنها) محذوفان.

ب ـ ﴿**وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ...**﴾ (النمل: ٨٨). التشبيه هنا بليغ؛ لأن أداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه (السير بسرعة)، محذوفان(٧١).

ج ـ ﴿**يَنْظُرُوْنَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشيِّ عَلَيْهِ مِنَ الموتِ...**﴾ (محمد: ٢٠). التشبيه بليغ؛ لأن أداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه (شخوص البصر) محذوفان.

---

(٦٨) المطوّل، سعد الدين التفتازاني، مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠هـ: ٢١٠.

(٦٩) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٢٤٩، والإيضاح، القزويني: ١٢٥، والبلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب ود. كامل حسن البصير، ط١، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م: ٢٩١.

(٧٠) صفوة التفاسير، الصابوني: ٢: ٥٢٥.

(٧١) المرجع السابق: ٢: ٤٢٢.

د ـ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فِيْ قُلُوْبِهِم الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَةِ﴾ (الفتح: ٢٦). التشبيه بليغ؛ إذ حذفت أداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه (الأنفة من الشيء).

هـ ـ ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُوْنَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّوْنَ المَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى﴾ (النجم: ٢٧). التشبيه بليغ؛ إذ حذفت أداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه: التسوية بين تسميتهم الملائكة بتسمية الأنثى.

و ـ ﴿فَشَارِبُوْنَ شُرْبَ الهِيْمِ﴾ (الواقعة: ٥٥). التشبيه بليغ إذ حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه (عدم الري).

ز ـ ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيْزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٤٢). التشبيه بليغ؛ لأنه لم تذكر أداة التشبيه ووجه الشبه: الغالب والقادر.

وقد ورد التشبيه البليغ في القرآن الكريم بغير إضافة المصدر إلى المشبه به وهو كما يأتي:

أ ـ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ...﴾ (البقرة: ٢٢٣). التشبيه بليغ؛ لأنه لم تذكر أداة التشبيه ووجه الشبه وهو حصول الشيء(٧٢).

ب ـ ﴿إِنَّمَا المُشْرِكُوْنَ نَجَسٌ...﴾ (التوبة: ٢٨). التشبيه بليغ؛ لأنه حذفت أداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه خبث الباطن والاعتقاد(٧٣).

ج ـ ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّيْنَ عَضُدًا﴾ (الكهف: ٥١). التشبيه بليغ؛ فقد شبّه المضلين بالعضد الذي يتقوّى به الإنسان ولم يذكر الأداة، ووجه الشبه (التقوية).

د ـ ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ...﴾ (الأنعام: ٣٢). التشبيه بليغ، لأنه لم تذكر الأداة (الكاف) ووجه الشبه الفناء والذهاب.

التشبيه المرسل المجمل: هو الذي ذكرت فيه الأداة وحذف وجه الشبه(٧٤). قال تعالى:

---

(٧٢) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ١: ٣٣٣.

(٧٣) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ٥٣٢،

(٧٤) الإيضاح، القزويني: ٤: ٩٦، ١٢٦.

أ - ﴿لا تَجْعَلُوْا دُعَاءَ الرَّسُوْلِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً...﴾ (النور: ٦٣). التشبيه هو المرسل المجمل؛ إذ ذكرت الأداة، وحذف وجه الشبه وهو عدم الاستئذان أو رفع الصوت.

ب - ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّوْمِ طَعَامُ الأَثِيْمِ❁ كَالمُهْلِ يَغْلِيْ فِيْ البُطُوْنِ❁ كَغَلْيِ الحَمِيْمِ﴾ (الدخان: ٤٣-٤٦). التشبيه هو المرسل المجمل؛ لأن الأداة ذكرت، ولم يذكر وجه الشبه الذي هو: شدة الغليان.

ج - ﴿وَلا تَجْهَرُوْا لَهُ بِالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ...﴾ (الحجرات: ٢). التشبيه هو المرسل المجمل؛ إذ ذكرت الأداة، ولم يذكر وجه الشبه الذي هو رفع الصوت.

د - ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ﴾ (القمر: ٥٠). التشبيه هو المرسل المجمل؛ لأن الأداة موجودة، ولم يوجد وجه الشبه الذي هو السرعة مثل لمح البصر.

التشبيه المرسل المفصل: هو الذي تذكر فيه أداة التشبيه ووجه الشبه(٧٥). قال تعالى:

أ - ﴿يَوْمَ نَطْوِيْ السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجلِ لِلْكُتُبِ...﴾ (الأنبياء: ١٠٤). التشبيه هو المرسل المفصل: أي طيا مثل طي الصحيفة على ما كتب فيها(٧٦).

ب - ﴿أَمْ جَعَلُوْا شُرَكَاءَ خَلَقُوْا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ...﴾ (الرعد: ١٦). التشبيه هو المرسل المفصل بذكر الأداة ووجه الشبه الذي هو التسوية في الخلق، فقال (فتشابه الخلق عليهم).

ج - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوْنَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ...﴾ (البقرة: ١٦٥). التشبيه هو المرسل المفصل؛ لأن الأداة قد ذكرت كما ذكر وجه الشبه وهو الحب الشديد المذكور في (أشد حبا لله).

د - ﴿إِذَا فَرِيْقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً...﴾ (النساء: ٧٧).

---

(٧٥) المصدر نفسه: ٤: ٩٨.

(٧٦) صفوة التفاسير، الصابوني: ٢: ٢٧٨.

التشبيه هو المرسل المفصل؛ لأن الأداة مذكورة، وكذلك وجه الشبه الذي هو الخشية الشديدة الكثيرة المذكورة في (أشد خشية).

وقد يكون بغير إضافة المصدر إلى المشبه به بل المصدرهو المشبه به للمبالغة، كقوله تعالى:

أ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ...﴾ (الصف: ٤). التشبيه هنا المرسل المفصل في المتانة والتراص(٧٧).

التشبيه المؤكد المجمل: هو الذي لم تذكر فيه الأداة ووجه الشبه(٧٨). قال تبارك وتعالى:

أ ـ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ...﴾ (يونس: ١١). التشبيه هو المؤكد المجمل؛ إذ لم تذكر فيه أداة التشبيه ووجه الشبه الذي هو التساوي بين العجلتين.

ب ـ ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: ١١). التشبيه هو المؤكد المجمل؛ إذ لم تذكر الأداة ولا وجه الشبه الذي هو التساوي بين الدعاءين.

التشبيه الصناعي:

تحدّث ابن أبي الأصبع المصري (ت: ٦٥٤ هـ) عن مصطلح سمّاه التشبيه الصناعي وهو القائل: «إنه إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف»(٧٩). قال تعالى:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ...﴾ (التوبة: ١٩). التشبيه هو التشبيه الصناعي؛ لأن الكلام خرج مخرجَ الإنكار، فجعل حرمة سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وفيه أوفى دلالةً على تعظيم حال المؤمن بالله وأنه لا يساوى به مخلوق ليس على صفته وهو أحد أغراض التشبيه الصناعي(٨٠).

---

(٧٧) صفوة التفاسير، الصابوني: ٣: ٣٧٥.

(٧٨) الإيضاح، القزويني: ٤: ٩٦، ١٢٥.

(٧٩) بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، ت: حفني محمد شرف، مكتبة نهضة، مصر، ١٩٥٧م: ٤: ٧١.

(٨٠) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ٣/٥٨.

المجاز والمصدر:

المجاز كلمة على وزن مَفْعَل من جَازَ المكان يجُوْزه إذا تعداه. فهو كلمة تعدت موضعها الأصلي، فهي جائزة مكانها ذلك[٨١].

ويقول ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ): «وأما المجاز فهو أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع، إذا تخطّاه إليه»[٨٢].

إن القرآن العظيم مشحون بالمجاز وفيما يأتي بعض ما يتعلق بالمصدر:

المجاز اللغوي:

هو الكلمة المستعملة في غير ما وضع له اصطلاح التخاطب على وجه صحيح مع قرينة عدم إرادة أصل معناه، وقد عرّفه القزويني بقوله: ما «استعمله المخاطب بعرف اللغة»[٨٣].

وقال الطيبي: «هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له بالتحقير مع قرينة عدم إرادته»[٨٤].

قال تبارك وتعالى:

أ - ﴿وَالأَرْضُ جَمِيْعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ...﴾ (الزمر: ٦٧). المجاز هنا اللغوي: لأن قبضة اللّه الأرض عبارة عن قدرته وسيطرته على جميع مخلوقاته وإحاطته بهم قاطبة كما يقال: فلان في قبضتي أي في قدرته ما يؤول إليه؛ لأن القابض يتصرف بما يقبضه كيف يشاء[٨٥].

---

[٨١] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق عبد المنعم الخفاجي، ط٣، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٩م: ٣٦٥.

[٨٢] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير الجزري، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة ومطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر: ١: ١٠٥.

[٨٣] الإيضاح، القزويني: ٥: ١٥.

[٨٤] كتاب التبيان، الطيبي: ٢١٧.

[٨٥] إعراب القران، محيي الدين الدرويش: ٨: ٤٥٠.

ب ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي...﴾ (هود: ٣٥). لا يعود الإجرام على الإنسان وإنما تعود عقوبته، فحصل المجاز هنا بالحذف(٨٦).

المجاز العقلي:

هو المجاز الذي ليس مرجعه إلى اللغة وإنما إسناد الشيء لغير من هو له. وقد عرّفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: «وحدّه أن كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأول فهي مجاز»(٨٧). قال تبارك وتعالى:

أ ـ ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِلْمُتَّقِيْنَ﴾ (البقرة: ٢). أسندت الهداية في هذه الآية إلى الكتاب، ولكن الله هو الذي يهدي الناس في الحقيقة، ولكن الكتاب هو السبب للهداية، إذن ففيه مجاز عقلي(٨٨).

ب ـ ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ (سبأ: ٣٣). أسند المكر إلى الليل والنهار في الآية، والماكرون في الحقيقة هم المشركون بهم في الليل والنهار، ولكن الإسناد إليهما عن طريق المجاز العقلي(٨٩). وعلاقته الزمانية لأنهما زمان المكر.

ج ـ ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...﴾ (البقرة: ٧٤). أسندت الخشية إلى الحجارة مجازًا؛ لأن الخشية تكون لذوات الأرواح، والمعنى انقيادها لأمر الله(٩٠).

د ـ ﴿إِذْ يُغَشِّيْكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ...﴾ (الأنفال: ١١). أسندت (أمنة) إلى النعاس مجازا؛ لأن الأمنة لأصحاب النعاس على الحقيقة(٩١).

هـ ـ ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيْزًا﴾ (الفتح: ٣). أسند العزّ إلى النصر مجازًا؛ لأن العزّ في الحقيقة للإنسان(٩٢).

---

(٨٦) صفوة التفاسير، الصابوني: ٢: ١٧.

(٨٧) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني: ٢٥٦.

(٨٨) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ٣٢.

(٨٩) المرجع نفسه: ٢: ٥٥٦.

(٩٠) تفسير النسفي: ١: ٥٧.

(٩١) تفسير الكشاف، الزمخشري: ٢: ١٤٧.

(٩٢) المصدر نفسه: ٣: ٤٦٢.

و ـ ﴿تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا...﴾ (التحريم: ٨). أسند النصح إلى التوبة مجازًا، وإنما هو من التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم(٩٣).

ز ـ ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ...﴾ (البقرة: ١٦). فإسناد الربح إلى التجارة مجاز عقلي؛ لأن التجارة لا تربح إنما تكون سببًا في الربح.

٣ ـ المجاز المرسل:

هو بالمعنى المصدري استعمال اللفظ في غير ما وضع له اصطلاح التخاطب لعلاقة غير المشابهة بين معناه الأصلي، وما استعمل فيه مع قرينة مانعة من إرادة أصل المعنى. وقد عرّفه القزويني بقوله: «وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة؛ لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود بها...»(٩٤).

قال تبارك وتعالى:

ز ـ ﴿وَلَكُمْ فِيْ الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾ (البقرة: ١٧٩.) إسناد الحياة إلى القصاص إسناد مجازي؛ لأن القصاص هو تفويت للحياة وذهاب بها، ولكنه سبب لحياة الناس: لأن الناس يمتنعون عن القتل بسببه(٩٥).

ب ـ ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِيْ رَحْمَتِه....﴾ (التوبة: ٩٩). الرحمة سبب لإدخال المؤمنين في الجنة، وهو من إطلاق الحال وإرادة المحل(٩٦).

ج ـ ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِيْ ضَلالٍ مُبِيْنٍ﴾ (الأعراف: ٦٠). في هذه الآية جعل الضلال ظرفًا، وهو ليس ظرفًا يحل فيه الإنسان، فاستعمل الضلال في مكانه مجازًا مرسلاً، وهو

---

(٩٣) تفسير الكشاف، الزمخشري: ٤: ١٣٠، وتفسير أبي السعود: ٨: ٢٦٨، وإعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ١٠: ١٣٩.

(٩٤) الإيضاح، القزويني: ٥: ٢٠، وكتاب التبيان، الطيبي: ٢١٨.

(٩٥) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ١: ٢٥٤.

(٩٦) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ٥٦٢.

إطلاق الحال وإرادة المحل، فعلاقته الحالية، وفيه مبالغة حتى كأنه مستقر في ظلماته لا يزحزح عنها(٩٧).

د - ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ...﴾ (يونس: ٢٣). إسناد البغي على أنفسكم إسناد مجازي؛ لأن البغي لا يقع على الأنفس وإنما هو الوبال ولذلك ذكره لعلاقته السببية(٩٨).

هـ - ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨). عندما قال تعالى: ﴿قرآن الفجر﴾ أطلق الجزء على الكل مجازًا؛ لأن المراد بها الصلاة، والقراءة جزء منها، فالعلاقة الجزئية(٩٩).

و - ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا...﴾ (غافر: ١٣). أطلق الرزق وأراد المطر؛ لأن اللّه تعالى يكرم عباده بإنزال الماء من السماء، وهذا الماء يكون سببًا في الرزق، فهو من إطلاق المسبّب وإرادة السبب(١٠٠).

الاستعارة:

هي نقل اللفظ من معناه الذي عرف به ووضع له إلى معنى آخر لم يعرف به من قبل. ومن أوائل من عرّف الاستعارة الجاحظ (ت: ٢٥٥ هـ) بقوله: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه»(١٠١).

ويقول ابن المعتز (ت: ٢٩٦هـ): «هي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها»(١٠٢).

وتعريف العسكري (ت: ٢٩٥هـ) أكثر شمولاً حيث قال: «الاستعارة: نقل العبارة عن

---

(٩٧) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ١: ٢٥٤.

(٩٨) المرجع نفسه: ٣: ٣٧٦.

(٩٩) صفوة التفاسير، الصابوني: ٢: ١٧٤.

(١٠٠) المرجع نفسه: ٣: ١١٣.

(١٠١) البيان والتبيين، الجاحظ، ت: عبد السلام محمد هارون، ط٤، دار الفكر، بيروت: ١: ١٥٢.

(١٠٢) البديع لابن المعتز، اعتنى بنشره والتعليق عليه، وإعداد فهارسه المستشرق أغناطيوس كراتشكوفسكي، منشورات دار الحكمة، حلبوني، دمشق: ٢٠.

موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة، من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً(١٠٣).

ويعرّفها عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) قائلاً: «الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه»(١٠٤).

وعرّفها السكاكي (٦٢٦هـ) تعريفاً جامعًا فقال: «الاستعارة هو أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الآخر مدّعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص بما وضع له»(١٠٥). ويقول القزويني في حدّه: «وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له»(١٠٦).

لا جرمَ أن الاستعارة أشد تأثيرًا في النفوس، وإرهافًا للحس، وتزيينًا للكلام، واختصارًا للعبارة، وتوضيحًا للجملة، وأحسن تصويرًا للواقع. ويرتبط المصدر بها كثيرًا، وتكثر في القرآن الكريم وهي على النحو الآتي:

١ـ **الاستعارة التصريحية**: وهي التي يحذف المشبه فيها ويصرّح بلفظ المشبه به(١٠٧). قال تعالى:

أ ـ ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ...﴾ (البقرة: ٥). الاستعارة التصريحية في قوله (على هدى) تشبيها لحال المتقين بحال من اعتلى صهوة جواده فحذف المشبه واستعيرت كلمة (على) الدالة على الاستعلاء لبيان أن شيئًا تفوق واستعلى على ما بعدها حقيقة،

---

(١٠٣) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٢٦٨.

(١٠٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد رشيد رضا، القاهرة، ١٣٧٢هـ: ٥٣.

(١٠٥) مفتاح العلوم، السكاكي: ١: ١٥٦ ـ ١٦١.

(١٠٦) الإيضاح، القزويني: ٥: ٣٧.

(١٠٧) البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب: ٣٥١.

نحو: زيدٌ على السطحِ، أو حكمًا، نحو: عليه دينٌ، فالدين للزومه وتحمله كأنه ركب عليه وتحمله، والدقة فيه أن الاستعارة بالحرف، ويقال في إجرائها: شبه مطلق ارتباط بين هدى ومهدي بمطلق ارتباط بين مستعلٍ ومستعلى عليه بجامع التمكن في كل منهما فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات، ثم استعيرت (على) وهي من جزئيات المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

ب - ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً...﴾ (البقرة: ١٣٨). في قوله تعالى: «صبغة الله» استعارة تصريحية تبعية، فشبه الدين الإسلامي بالصبغة وهي تكون في الحقيقة في الثوب، وحذف المشبه، وأبقى المشبه به؛ لأن أثر الدين يظهر على المؤمن كما يظهر أثر الصبغ في الثوب(١٠٨).

ج - ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ...﴾ (النساء: ٢٥). في الآية استعارة تصريحية تبعية؛ لأن أصل العنت كسر العظم، وأريد به المشقة التي يجدها الإنسان في مكابدة شهوته، كما يدل عليه سياق الآية بجامع الإسلام في كل منهما، فقد شبّهت المشقة بكسر العظم، وحذف المشبه.

د - ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...﴾ (البقرة: ٥٥). شبه المعاينة بالجهرة، فحذف المشبه، وأبقى المشبه به لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف على طريق الاستعارة التصريحية التبعية(١٠٩).

هـ - ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾ (المائدة: ١٢). في الآية استعارة تصريحية؛ إذ شبّه الإنفاق في سبيل الله بالقرض، فحذف المشبه وذكر المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية(١١٠).

و - ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ (النور: ٣٥). (نور) هنا مصدر أطلق على اسم الفاعل بمعنى المنوِّر على طريق الاستعارة؛ لأن الله هو هادي أهل السموات والأرض كما يهتدى بالأنوار(١١١).

---

(١٠٨) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ١: ١٩٨، وصفوة التفاسير، الصابوني: ١: ١٠٠.

(١٠٩) تفسير أبي السعود: ١: ١٠٣.

(١١٠) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش، ٢: ٤٢٩.

(١١١) صفوة التفاسير: ٣: ٢٤٥.

ز - ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ....﴾ (ق: ١٩). في الآية استعارة تصريحية حيث شبّه الهول والشدة (بالسكرة) وحذف المشبّه وأبقى المشبّه به.(١١٢)

الاستعارة المكنية والمصدر:

الاستعارة المكنية: هي التي حذف فيها المشبه به وذكر المشبه، قال القزويني: « قد يضمر التشبيه في النفس، فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير أن يكون أمرًا ثابتًا حسًا أو عقلاً أجرى عليه اسم ذلك الأمر فيسمّى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنها»(١١٣).

قال تعالى:

أ - ﴿الذِيْنَ يَنْقُضُوْنَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيْثَاقِهِ...﴾ (البقرة: ٢٧). الاستعارة المكنية إذ شبه العهد بالحبل المبرم، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو النقض على سبيل الاستعارة المكنية التبعية، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين(١١٤).

ب - ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...﴾ (الإسراء: ٢٤). الاستعارة المكنية إذ شبه الذل بالطائر له جناح، ثم حذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو جناح على سبيل الاستعارة المكنية(١١٥).

ج - ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيْدٍ سَمِعُوْا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيْرًا﴾ (الفرقان: ١٢). شبهت جهنم بمن يرقب عدوه ويتحفز للإيقاع به، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو رأى على سبيل الاستعارة المكنية.

د - ﴿إِذَا أُلْقُوْا فِيْهَا سَمِعُوْا لَهَا شَهِيْقًا وَهِيَ تَفُوْرُ﴾ (الملك: ٧). شبه جهنم بصاحب

---

(١١٢) المرجع نفسه: ٣: ٢٤٩.

(١١٣) الايضاح، القزويني: ٣٠٩.

(١١٤) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ١: ٧١، وانظر صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ٤٦.

(١١٥) صفوة التفاسير، الصابوني: ٢: ١٦٢.

الصوت البشع، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه، وهو الشهيق على سبيل الاستعارة المكنية التخيلية.

هـ - ﴿**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ...**﴾ (الملك: ٨). الاستعارة المكنية حيث شبهت جهنم في شدة غليانها بإنسان شديد الحنق والغيظ يتقطع من شدة الغيظ، ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الغيظ على طريق الاستعارة المكنية التخيلية[١١٦].

و - ﴿**رَجْمًا بِالغَيْبِ...**﴾ (الكهف: ٢٢). الاستعارة المكنية حيث شبه (الغيب) بشيء يرمى بالحجارة ثم رمز له بشيء من لوازمه هو (رجمًا) وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية[١١٧].

ز - ﴿**خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ...**﴾ (الأنبياء: ٣٧). الاستعارة المكنية حيث شبه العجل الذي طبع عليه الشخص بأصل مادته وهي الطين ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو (خلق) على طريق الاستعارة المكنية[١١٨].

ح - ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ...**﴾ (التوبة: ١٠٩). الاستعارة المكنية قد شبهت التقوى والرضوان بأرض صلبة يعتمد عليها البنيان، ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو (أسس)[١١٩].

الاستعارة التمثيلية: هي صورة بصورة ثم تدخل المشبه في جنس المشبه به، مبالغة في التشبيه ثم تحذف الصورة الأولى - المشبه - ويبقى المشبه به[١٢٠]. قال تعالى:

أ - ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ القَوْمُ الخَاسِرُونَ**﴾ (الأعراف: ٩٩). والمكر حقيقة فعل يقصد به ضر أحد في هيئة تخفى، أو هيئة يحسبها منفعة. وهو هنا استعارة للإمهال والإنعام في حال الإمهال، فهي تمثيلية، شبّه حال الإنعام مع الإمهال وتعقيبه بالانتقام بحال المكر.

---

(١١٦) المرجع نفسه: ٣: ٤٢٢.

(١١٧) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ٥: ٥٦٥.

(١١٨) المرجع نفسه: ٦: ٣١٣.

(١١٩) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ٥٦٣.

(١٢٠) الإيضاح، القزويني: ٣٠٤.

ب - ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُوْلَ مِنْهُ الْجِبَالُ...﴾ (إبراهيم: ٤٦). الاستعارة تمثيلية حيث شبه (مكرهم) بـ (لتزول منه الجبال) لتفاقمه وشدته، وافتنانهم فيه وبلوغهم الغاية منه شبه شريعته وآياته وما أنزل على نبيه من تعاليم سلمية، وحجج بينة شبهها بالجبال في رسوخها وتمكنها من نفوس المؤمنين.

د - ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا...﴾ (فصلت: ١١). الاستعارة تمثيلية حيث شبه قدرته في السموات والأرض بأمر السلطان لأحد رعيته أو عبيده بأمر من الأمور وامتثال الأمر سريعًا(١٢١).

هـ - ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ...﴾ (النحل: ٢٦). الاستعارة تمثيلية فقد شبه حال جميع الماكرين المبطلين المدبّرين للمكايد والمؤامرات، والذين يحاولون إيقاع الضرر والمكر بالمؤمنين ونصب الشباك لهم بحال قوم بنوا بنيانًا شامخًا، ودعموه بأساطين البناء وقواعده فطاح البنيان من الأساطين نفسها بأن وهنت ولم تقو على إمساك ما أقيم عليها فتهدم السقف وهوى عليها.

الكناية:

وهي إرادة المعنى بغير لفظه، إذ عرّفها العسكري بقوله: «وهو أن يكنى عن الشيء ويعرّض به ولا يصرّح، على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء...»(١٢٢).

ويذكر عبد القاهر الجرجاني تعريفًا جامعًا فقال: «الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء به إليه ويجعله دليلا عليه»(١٢٣). ويأتي السكاكي بتعريف لا يخرج عما سبق، فقال: «هي ترك التصريح بذكر شيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك»(١٢٤). وقد تابعه القزويني وهو القائل: «الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ»(١٢٥).

---

(١٢١) صفوة التفاسير، الصابوني: ٣: ١٢٩.

(١٢٢) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٣٦٨.

(١٢٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٥٢.

(١٢٤) مفتاح العلوم، السكاكي: ١٧٠.

(١٢٥) الإيضاح، القزويني: ٥: ١٥٨.

لا ريبَ في أن الكناية دليل على الدعوى التي يراد إثباتها والطريق الذي ليس فيه خطورة، والمسلك الخالي من كل ما يجلب التعب والأذى. والقرآن ليس خاليًا من هذا اللون من الأساليب البيانية ففيه كل الأنماط الكلامية، نحن نعرض بعضًا منها في العبارات الآتية:

أ ـ ﴿أُحِلَّ لَكُم لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ...﴾ (البقرة: ١٨٧). الرفث كناية عن الجماع، فلم يفصح به؛ لأن الله كريم حليم يكني(١٢٦).

ب ـ ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ...﴾ (البقرة: ٦١). في هذه الآية كناية عن إحاطة الذلة والمسكنة باليهود كما تحيط القبة بمن ضربت عليه(١٢٧).

ج ـ ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَمَاتُوْا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا...﴾ (آل عمران: ٩١). وفي (ملء الأرض ذهبا) كناية عن الكثرة المتعذرة؛ لأن الأرض لا يملؤها أي شيء في الموجودات. وهذا كقولنا عدد رمال الدهناء، وعدد الحصى(١٢٨).

د ـ ﴿وَإِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِيْ الكِتَابِ لَفِيْ شِقَاقٍ بَعِيْدٍ﴾ (البقرة: ١٧٦). وفي (شقاق بعيد) كناية عن العداوة، أو كناية عن الطول أو معاداة طويلة لا تنقطع(١٢٩).

هـ ﴿وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوْهُنَّ سِرًّا...﴾ (البقرة: ٢٣٥). وفي (سر) كناية عن النكاح، وهي من أبلغ الكنايات(١٣٠).

و. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾ (البقرة: ١٤٣). وفي (وسطا) كناية عن العدالة، كأنه الميزان الذي لا يحابي ولا يميل مع أحد(١٣١).

ز ـــ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوْهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ

---

(١٢٦) تفسير البحر المحيط، أبو حيان: ٢: ٤٨، وانظر صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ١٢٣.

(١٢٧) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ٦٣.

(١٢٨) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: ٣: ٣٠٧.

(١٢٩) تفسير البحر المحيط، أبو حيان: ١: ٤٩٦.

(١٣٠) المصدر نفسه: ٢: ٣٣٠.

(١٣١) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ١: ٢٠٢.

تَمَسُّوهُنَّ...﴾ (الأحزاب: ٤٩). وفي (أن تمسوهن) كناية عن الجماع وهي من الكنايات المشهورة في القرآن الكريم حيث يتحاشى الألفاظ البذيئة(١٣٢).

المصدر ودوره في علم البديع:

الطباق:

وهو في الاصطلاح الجمع بين الشيء ومقابله أو الشيء وضدّه. وقد عرّفه العسكري بقوله: «قد أجمع الناس المطابقة في الكلام: هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار والحر والبرد»(١٣٣).

وقال ابن رشيق (ت: ٤٦٣هـ): «المطابقة في الكلام أن يأتلف في معناه ما يضاده في فحواه»(١٣٤). ويرى ابن الأثير: أنها في المعاني ضد التجنيس في الألفاظ، وقد جمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي: «الجمع بين الشيء وضده»(١٣٥).

وقد ورد الطباق بين المصدرين في القرآن الكريم كثيرًا وفيما يأتي عرض لبعض منها:

١- الثلاثي المجرد:

طوعا وكرها (آل عمران: ٨٣)، والسراء والضراء (السورة نفسها: ١٣٤)، والرضوان والسخط (السورة نفسها: ١٦٢)، وقياما وقعودا (السورة نفسها: ١٩١)، والأمن والخوف (النساء: ٨٣)، وعداوة ومودة (المائدة: ٨٢)، وحمولة وفرشا (الأنعام: ١٤٢)، والسيئة والحسنة (الأعراف: ٩٥)، والغيب والشهادة (التوبة: ٩٤)، وخوفًا وطمعًا، (الرعد: ١٢)، وحلال وحرام (النحل: ١١٦)، وضعف الحياة وضعف الممات (الإسراء: ٧٥).

قال تبارك وتعالى:

أ- ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...﴾ (النور: ٥٥).

---

(١٣٢) صفوة التفاسير، الصابوني: ٢: ٥٣٣.

(١٣٣) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري ٣٠٧.

(١٣٤) العمدة، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م: ٢: ٧.

(١٣٥) المثل السائر، ابن الأثير: ٢: ٢٧٩.

ب ـ ﴿قُلْ إِنِّيْ لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ (الجن: ٢١).

ج ـ ﴿وَيَدْعُوْنَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ (الأنبياء: ٩٠).

٢ـ **من غير الثلاثي المجرد**: قال تعالى:

أ ـ ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعرُوْفٍ أَوْ تَسْرِيْحٌ بِإِحْسَانٍ...﴾ (البقرة: ٢٢٩).

ب ـ ﴿ثُمَّ إِنِّي دعَوْتُهُمْ جِهَارًا ❁ ثُمَّ إِنِّيْ أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح: ٨ ـ ٩).

٣ـ **بين المصدرين المؤولين:**

أـ ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ (الممتحنة: ١). الطباق هنا بين الإخفاء والإعلان.

ب ـ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: ٢) المطابقة هنا بين التقدم والتأخر.

المقابلـة:

هي: أن يؤتى بمعنيين فأكثر ثم يقابل بهذه المعاني. قال العسكري: «المقابلة إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة. فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل، مثاله قوله اللّه تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوْتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوْا...﴾ (النمل: ٥٢)، فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوْا مكرا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ (السورة:نفسها: ٥٠)، فالمكر من اللّه العذاب، جعله اللّه عزّ وجلّ مقابلة لمكرهم بأنبيائهم وأهل طاعته»[١٣٦].

ويرى الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) أنها: «أن يوافق بين معانٍ ونظائرها والمضاد بضده»[١٣٧].

وقال الطيبي: «وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر، وبين ضديهما، ثم شرطت هنا شرطًا شرطت هناك ضده»[١٣٨].

---

(١٣٦) كتاب الصناعتين، أبو هلال العكسري: ٣٣٧.

(١٣٧) إعجاز القرآن: الباقلاني، ت: السيد أحمد الصغير، ط ٣، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤، ٨٨.

(١٣٨) كتاب التبيان، الطيبي: ٣٤٦.

قال تبارك وتعالى:

١ـ أ ـ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ...﴾ (الإسراء: ٨٠).

ب ـ ﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوْقًا﴾ (السورة نفسها: ٨١).

المقابلة بين الآيتين المذكورتين.[١٣٩]

٢ـ أ ـ ﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيْمًا﴾ (الفتح: ٥).

ب ـ ﴿وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِيْنَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالمُشْرِكِيْنَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّيْنَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيْرًا﴾ (السورة نفسها: ٦). المقابلة الجميلة بين الآيتين المذكورتين[١٤٠].

المشاكلة:

وهي أن نقصد بلفظ شيئًا بلفظ آخر غيره، وقد عرّفه الطيبي بقوله: «وذكر الشيء بلفظ مصاحبه لوقوعه معه»[١٤١]. قال عز من قائل:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِيْ آيَاتِنَا قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ (يونس: ٢١).

ذكر في الآية (مكر) ولكن ما أريد معنى هذه الكلمة، وإنما ذكرها لوقوعها في مصاحبة لفظة تشبهها وهي مكر في (إذا لهم مكر)؛ لأن اللّه لا يمكر وإنما يجزي، إذن تسمية عقوبة اللّه مكرًا من باب المشاكلة[١٤٢].

اللف والنشر:

وهو أن نذكر أشياء عديدة ثم نذكر لكل واحد مايناسبه وما يتصل به اعتمادًا على فهم

---

[١٣٩] صفوة التفاسير، الصابوني: ٢: ١٧٤.

[١٤٠] المرجع نفسه: ٣: ٢٢٩.

[١٤١] كتاب التبيان، الطيبي: ٣٤٧.

[١٤٢] صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ٥٨٤.

السامع. وقد عرّفه القزويني بقوله: «وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه»(١٤٣).

وقال الطيبي: «وهو أن تضمّ متعددا ثم تتبعه ما لكل منه من غير تعيين ثقة بأن السامع يردّ كلا منه إلى ما هو له»(١٤٤).

قال رب السموات والأرض: **﴿وَمِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ...﴾** (الروم: ٢٣). وفي الآية الكريمة اللف البلاغي، قال الزمخشري: «هذا من باب اللف، وترتيبه: ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار إلاّ إنّه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد ويجوز أن يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن وأسد المعاني ما دلّ عليه القرآن يسمونه بالآذان الواعية»(١٤٥).

وقد شجب ابن هشام قول الزمخشري فقال: «قول الزمخشري ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله أنه من اللف والنشر وأن المعنى منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار، وهذا يقتضي أن يكون النهار معمولاً لابتغاء مع تقديمه عليه وعطفه على معمول منامكم وهو بالليل والنهار وهذا لا يجوز في الشعر فكيف في أفصح الكلام»(١٤٦).

يبدو لي أن شجب ابن هشام قول الزمخشري غير سائغ، بل الوجه ما قاله الزمخشري؛ لأن معمول المصدر يجوز أن يتقدم عليه إذ كان ظرفًا أو جارًا ومجرورًا. إذن فقد حصل اللف والنشر في الآية.

براعة الاستهلال:

وينبغي للمتكلم أن يتأنق في المطلع حتى يكون أعذب لفظًا وأحسن سبكًا وأصح معنى؛ لأنه أول ما يقرع السامع. وقد ذكر الطيبي في (المطلع) شرطين: «أحدهما أن يضمّن معنى

---

(١٤٣) الإيضاح، القزويني: ٦: ٤٢، ٤٣.

(١٤٤) كتاب التبيان، الطيبي: ٣٩٩.

(١٤٥) تفسير الكشاف، الزمخشري: ٣: ٢٠١.

(١٤٦) إعراب القرآن، محيي الدين الدرويش: ٧: ٤٩٣.

ما سبق الكلام لأجله ليكون الابتداء دالاً على الانتهاء، ويسمّى هذا ببراعة الاستهلال»(١٤٧).

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِيْ أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً...﴾ (الإسراء: ١).

افتتحت السورة بـ (سبحان الذي...) وهي من براعة الاستهلال؛ لأنه لّما كان الإسراء والمعراج أمرًا خارقًا للعادة بدأه بكلمة تشير إلى كمال قدرته وتمام استطاعته وتنزه اللّه عن الشرك وصفات النقص(١٤٨).

هناك مصادر أخرى افتتحت بها بعض السور في القرآن العظيم وهي كلها تدل على براعة الاستهلال وحسن الافتتاح وهي على النحو الآتي:

الحمد (الفاتحة:١)، و(الأنعام:١)، و(الكهف:١)، و(سبأ:١)، و(فاطر:١). وبراءة (التوبة:١)، وتنزيل (الزمر: ١)، وويل (المطففين:١)، و(الهمزة:١)، وإيلاف (قريش: ١).

الجناس:

وهو تشابه كلمتين في اللفظ من حيث نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها. وقد عرّفه ابن المعتز بقوله: «هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر، أو كلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها»(١٤٩).

ويقول العسكري: «التجنيس أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منها صاحبتها في تأليف حروفها ما ألف الأصمعي كتاب الأجناس»(١٥٠).

وقال الباقلاني: «ومعنى ذلك أن تأتي بكلمتين متجانستين، فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها ومعناها، ومنهم من زعم أن المجانسة: أن يشترك اللفظان على جهة الاشتقاق»(١٥١).

وذكر ابن رشيق التجنيس وقال إنه ضروب كثيرة: منها المماثلة وهي أن تكون الكلمة

---

(١٤٧) كتاب التبيان، الطيبي: ٤٥٦.

(١٤٨) صفوة التفاسير. الصابوني: ٢: ١٥٦.

(١٤٩) بديع ابن المعتز: ٢٥.

(١٥٠) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري ٣٢١.

(١٥١) إعجاز القران، الباقلاني: ٨٣.

واحدة باختلاف المعنى، والتجنيس المحقق وهو: ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن، رجع إلى الاشتقاق أو لم يرجع(١٥٢).

ويربط عبد القاهر الجرجاني ورود الجناس بالمعنى فيقول: «أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل حميدًا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدًا»(١٥٣).

ويرى البغدادي: «هو أن يأتي الشاعر بلفظتين في البيت إحداهما مشتقة من الأخرى يسمونه المطابقة»(١٥٤).

جناس الاشتقاق:

قد يكون الجناس في الاشتقاق، فقد قال العسكري: «فمنه ما تكون الكلمة تجانس لفظًا واشتقاق معنى...»(١٥٥). وقال في مكان آخر: «وقد عرض لي بعد نظم هذه الأنواع نوع آخر لم يذكره أحد ويسميه المشتق»(١٥٦). وقد تابعه ابن الأثير قائلا: «اعلم أن جماعة من علماء البيان يفصلون الاشتقاق عن التجنيس، ليس الأمر كذلك بل التجنيس أمر عام لهذين النوعين في الكلام»(١٥٧). وقد عدّ الطيبي قسمًا آخر للجناس وهو الجناس الاشتقاقي وقال: «وهو أن يؤتى بألفاظ يجمعها حروفها الأصلية في معنى، وهو ضربان: الأول: أن تجمعها بترتيب، وذلك بأن يؤتى بفرعين فصاعدًا فتردّ إلى الأصل بواسطة ترتيب حروفها كما إذا قلت (سلم، سالم، ومسلم) إلى غير ذلك فإنها تجمعها في معنى السلامة وهو المسمى بالاشتقاق الصغير مثاله من التجنيس قوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ** ﴾ (الروم: ٤٣)...(١٥٨).

---

(١٥٢) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مطبعة علي صبيح وأولاده، ١٩٦٩م: ١٨٥.

(١٥٣) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني: ٦.

(١٥٤) قانون البلاغة في نقد الشعر، أبو طاهر البغدادي، ت: محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م: ٨٦.

(١٥٥) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٣٢١.

(١٥٦) المصدر السابق: ٤٣٠.

(١٥٧) المثل السائر، ابن الأثير: ٢: ٣٣٧.

(١٥٨) كتاب التبيان، الطيبي: ٤٨٧ ـ ٤٨٨.

حقًا أن الجناس من أشهر المحسنات اللفظية البديعية وقد ورد في القرآن الكريم في غاية الحسن، مطبوعًا لا صنعة فيه ولا تكلف. وقد جاء من المشتقات جميعًا، وهو الذي يسمى بجناس الاشتقاق كما سبق، فنحن هنا نعرض ما يتعلق بالمصدر وهو على النحو الآتي:

من الثلاثي المجرد:

الجناس بين الفعل الماضي والمصدر:

كفروا كُفْرا (آل عمران: ٩٠)،(١٥٩) وضلّ ضلالا (النساء: ١١٦)،(١٦٠) وخسر خسرانا (السورة نفسها: ١١٩)،(١٦١) ومكروا مكرهم (إبراهيم: ٤٦)،(١٦٢) وقرأت القرآن (الإسراء: ٤٥)،(١٦٣) وعتوا عتوًّا (الفرقان: ٢١)،(١٦٤) وفعلت فعلتك (الشعراء: ١٩)،(١٦٥) وقصّ القصص (القصص: ٢٥)،(١٦٦).

قال عز وجل: **﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُوْنَ﴾** (الروم: ٢٥).

هنا بين الفعل الماضي (دعاكم) والمصدر (دعوة) جناس.

الجناس بين الفعل المضارع والمصدر:

يرونهم مثليهم رأي العين (آل عمران: ١٣)،(١٦٧) ويظنون باللّه... ظنّ الجاهلية (السورة نفسها: ١٥٤)،(١٦٨) ويصدون عنك صدودا (النساء: ٦١)،(١٦٩) وإن تعدل كل عدل (الأنعام:

---

(١٥٩) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ٢١٦.

(١٦٠) المرجع السابق: ١: ٣٠٩.

(١٦١) المرجع السابق: ١: ٣٠٩.

(١٦٢) المرجع السابق: ٢: ١٠٣.

(١٦٣) المرجع السابق: ٢: ١٦٢.

(١٦٤) المرجع السابق: ٢: ٣٦٤.

(١٦٥) المرجع السابق: ٢: ٣٨٠.

(١٦٦) المرجع السابق: ٢: ٤٣٥.

(١٦٧) المرجع السابق: ١: ١٩٠.

(١٦٨) المرجع السابق: ١: ٢٣٩.

(١٦٩) المرجع السابق: ١: ٢٨٧.

٧٠)،(١٧٠) قال تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تَمُوْرُ السَّمَاءُ مَوْرًا ❖ وَتَسِيْرُ الجِبَالُ سَيْرًا﴾ (الطور: ٩ ـ ١٠)، هنا جناس بين الفعلين المضارعين (تمور وتسير) والمصدرين (مورا وسيرا).

الجناس بين الأمر والمصدر:

أ ـ ﴿وَقُوْلُوْا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوْفًا﴾ (النساء: ٨).

ب ـ ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِيْ أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيْغًا﴾ (السورة نفسها: ٦٣).

ج ـ ﴿فَاصْفَحِ الصَفْحَ الجَمِيْلَ﴾ (الحجر: ٨٥).

هنا الجناس بين أفعال الأمر (قولوا، وقل، وفاصفح) والمصادر (قولاً وقولاً والصفح)(١٧١).

الجناس بين النهي والمصدر:

أ ـ ﴿فَلا تَمِيْلُوْا كُلَّ المَيْل...﴾ (النساء: ١٢٩).

ب ـ ﴿وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ...﴾ (الإسراء: ٢٩).

هنا الجناس بين فعلي النهي (فلا تميلوا، ولا تبسطها) وبين مصدرين (الميل والبسط)(١٧٢).

الجناس بين اسم الفاعل والمصدر:

﴿وَوَالد وما ولد﴾ (البلد: ٣)، هنا الجناس بين اسم الفاعل (والد) والمصدر المؤول (ولادة)(١٧٣).

الجناس بين المصدر والمصدر:

أ ـ ﴿لا تأكلوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً...﴾ (آل عمران: ١٣٠).

ب ـ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ (الواقعة: ٨٩).

---

(١٧٠) المرجع السابق: ١: ٣٩٩.

(١٧١) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ٢٦٠، و١: ٢٨٧،: و٢: ١١٧.

(١٧٢) المرجع السابق: ١: ٣٠٨.

(١٧٣) المرجع السابق: ٣: ٥٦٣.

ج - ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٦).

هنا الجناس بين المصادر (أضعافا وفروح والعسر) وبين المصادر (مضاعفة وريحان ويسرا)(١٧٤).

الجناس بين المصدر والفعل الماضي:

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ...﴾ (التوبة: ١١٤).

هنا الجناس بين المصدر (موعدة) والفعل الماضي (وعد).

الجناس بين المصدر واسم الفاعل:

أ - ﴿إِنِّيْ لا أُضِيْعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ...﴾ (آل عمران: ١٩٥).

ب - ﴿ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِيْنَ﴾ (هود: ١١٤).

هنا الجناس بين المصدرين (عَمَل وذكرى) واسمي الفاعل (عامل والذاكرين).

الجناس بين المصدر والصفة المشبهة:

﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيْلاً﴾ (النساء: ٥٧). هنا الجناس بين المصدر (ظلا) والصفة المشبهة (ظليلا).

من غير الثلاثي المجرد:

١ - باب أَفْعَلَ يُفْعِلُ:

أ - الجناس بين الفعل الماضي والمصدر:

أ - ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ...﴾ (البقرة: ٢٧٠).

ب - ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ...﴾ (آل عمران: ١٦٥).

حصل الجناس هنا بين الفعلين الماضيين (أنفقتم وأصابتكم) والمصدرين (نفقة ومصيبة)(١٧٥).

---

(١٧٤) المرجع السابق: ١: ٢٢٩، ٣: ٣١٦، و١: ٥٧٠.

(١٧٥) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ١٧٣، ٢٤٢.

ب ـ الجناس بين الفعل المضارع والمصدر:

أ ـ ﴿مَنْ ذَا الَّذِيْ يُقْرِضُ اللَّه قَرْضًا حَسَنًا...﴾ (البقرة: ٢٤٥).

ب ـ ﴿وَلا يُوْثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ (الفجر: ٢٦).

ثبت الجناس بين الفعلين المضارعين (يقرض ولا يوثق) والمصدرين (قرضا ووثاقه)(١٧٦).

ج ـ الجناس بين الأمر والمصدر:

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصِيْ بِهَا أَوْ دَيْنٍ...﴾ (النساء: ١١).

تحقق الجناس بين المصدر (وصية) والفعل المضارع (يوصي)(١٧٧).

د ـ الجناس بين الأمر والمصدر:

أ ـ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِيْ مُنْزَلاً مُبَارَكًا...﴾ (المؤمنون: ٢٩).

ب ـ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ...﴾ (الإسراء: ٨٠).

ج ـ ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (الأعلى: ٩).

حصل الجناس بين أفعال الأمر (أنزلني وأدخلني وأخرجني وفذكّر) والمصادر (منزلاً ومدخل ومخرج والذكرى)(١٧٨).

٢ ـ باب فَعَّلَ يُفَعِّلُ:

أ ـ الجناس بين الماضي والمصدر:

أ ـ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ...﴾ (يونس: ٩٣).

تحقق الجناس بين الفعل الماضي (بوّأنا) والمصدر (مبوّأ)(١٧٩).

ب ـ الجناس بين المضارع والمصدر:

أ ـ ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ العَذَابَ الأَكْبَرَ﴾ (الغاشية: ٢٤).

---

(١٧٦) المرجع السابق: ١: ١٥٩، و٣: ٥٥٩.

(١٧٧) المرجع السابق: ١: ٢٦٥.

(١٧٨) صفوة التفاسير، الصابوني: ٢: ٣١١، و٣: ٥٥٠.

(١٧٩) المرجع السابق: ١: ٦٠٠.

ب - ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ (الفجر: ٢٥).

ج - ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (الليل: ٧).

ثبت الجناس بين الأفعال المضارعة (فيعذّبه ولا يعذَّب وفسنيسره) والمصادر (العذاب وعذابه ولليسرى)(١٨٠).

٣ ـ باب فَاعَلَ يُفَاعِلُ:

الجناس بين الفعل الماضي والمصدر:

أ ـ ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (مريم: ٣). جاء الجناس بين العفل الماضي (نادى) والمصدر (نداء)(١٨١).

٤ـ باب افْتَعَلَ يَفْتَعِلُ:

أ ـ الجناس بين الفعل المضارع والمصدر:

أ ـ ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِيْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوْا مِنْهُمْ تُقَاةً...﴾ (آل عمران: ٢٨). فقد حصل الجناس بين الفعل المضارع (أن تتقوا) والمصدر (تقاة)(١٨٢).

ب ـ الجناس بين فعل الأمر والمصدر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اتَّقُوْا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ...﴾ (آل عمران: ١٠٢).

هنا الجناس بين فعل الأمر (اتقوا) والمصدر (تقاته).

٥ ـ باب فَعْلَلَ يُفَعْلِلُ:

أ ـ الجناس بين الفعل الماضي والمصدر:

قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة: ١). هنا الجناس بين الفعل الماضي (زلزلت) والمصدر (زلزالها).(١٨٣)

---

(١٨٠) المرجع السابق: ٣: ٥٥٤، ٥٥٩، ٥٧١.

(١٨١) المرجع السابق: ٢: ٢١٧.

(١٨٢) صفوة التفاسير، الصابوني: ١: ١٩٧.

(١٨٣) المرجع السابق: ٣: ٥٩٢.

ب - الجناس بين الفعل الماضي و المصدر:

قال تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ❖ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِيْ صُدُوْرِ النَّاسِ﴾ (الناس: ٤-٥).

تحقق الجناس بين المصدر (الوسواس) والفعل المضارع (يوسوس).(١٨٤)

---

(١٨٤) المرجع السابق: ٣: ٦٢٧.

الخاتمـة

قد توصّل هذا البحث المتواضع إلى كثير من النتائج الجزئية المتناثرة في موضوعاته، وسأكتفي بذكر أهم هذه النتائج:

١ ـ إن المصدر له دور كبير في الجملة؛ لأنّه يقوم بما يقوم به الاسم من جهة، والفعل من جهة أخرى، فهو يكون محلّى بال وغير محلّى، والتنكير له أغراض كثيرة تستدعيها البلاغة، وقد جاء التنكير في المصدر للدلالة على التعظيم والتفخيم، كما في قوله تعالى: **﴿ولكم في القصاص حياة...﴾**، والتعميم والتنويع، كما في قوله تعالى: **﴿ولهم عذاب عظيم﴾**، والتقليل والتحقير، مثل **﴿ورضوان من الله أكبر﴾**، والتخصيص، مثل: **﴿ولتجدنّهم أحرص الناس على حياة...﴾**، والتهويل، مثل: **﴿رجزًا من السماء...﴾**، والإبهام، مثل: **﴿فبظلم من الذين هادوا...﴾**، والشدة، مثل: **﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق...﴾**، والمطلق، نحو: **﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه...﴾**، وعدم الاعتياد، مثل: **﴿فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما...﴾**.

٢ ـ تبيّن من خلال البحث أن الفرق بين التعظيم والتكثير أن التعظيم يدل على ارتفاع الشأن وعلو المنزلة، وأما التكثير فهو يدل على الكميات والمقادير. والفرق بين التحقير والتقليل أن التحقير يدل على انحطاط الشأن وانخفاض علو القدر، وأما التقليل فهو يدل على الكميات والمقادير.

٣ ـ الأصل في أفعل التفضيل أن يدل على الأفضلية بين الشيئين اشتركا في صفة ما ولكنه أحيانًا يعدل عنه، ويستعمل بدله المصدر مع (أشد) وغيره للدلالة على معنى المبالغة، مثل: أشد ذكرًا، وأشد كفرًا.

٤ ـ إن الأصل في التاء أن تكون للتأنيث، ولكن قد تكون التاء في المصدر للدلالة على معنى المبالغة والاختصاص، مثل: ضلالة وخالصة.

٥ ـ التشبيه سمة متميزة من سمات البلاغة في القرآن الكريم، لما فيه من دقة التعبير وروعة الأسلوب والجمال الفني؛ فالمصدر له دور ـ ليس بقليل ـ فيه وهو يقوم مقامَ المشبه به حيث يضاف إليه وبعبارة أخرى أنه يؤدي وظيفة معنى الحدث في المشبه به غالبًا.

وأحياناً يكون هو المشبه به للمبالغة وقد أدى المصدر دورًا كبيرًا في التشبيه البليغ، مثل: ﴿**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى...**﴾ والتشبيه المرسل المجمل، مثل: ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا**﴾، والتشبيه المرسل المفصل، مثل: ﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب....**﴾، والتشبيه المؤكد المجمل، مثل: ﴿**ولو يعجَل اللّه للناس الشر استعجالهم بالخير...**﴾، والتشبيه الصناعي، مثل: ﴿**أجعلتم سقاية الحاجَ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن باللّه...**﴾.

٦ ـ المصدر يأتي للدلالة على معنى المجاز كثيرًا ولا سيما المجاز اللغوي، مثل: ﴿**والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة...**﴾ والمجاز العقلي، مثل: ﴿**توبوا إلى اللّه توبة نصوحا...**﴾، والمجاز المرسل، مثل: ﴿**إنما بغيكم على أنفسكم...**﴾.

٧ ـ حقًا أن الاستعارة أشدّ تأثيرًا في النفوس وإرهافًا للحس وتزيينًا للكلام، واختصارًا للعبارة وتوضيحًا للجملة وأحسن تصويرًا للواقع. ويرتبط المصدر بها كثيرًا. وقد استخدم الاستعارة التصريحية في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿**أولئك على هدى من ربهم...**﴾، والمكنية، كما في قوله تعالى: ﴿**رجما بالغيب...**﴾، والتمثيلية، مثل: ﴿**فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا...**﴾.

٨ ـ لا جرمَ أن الكناية دليل على الدعوى التي يراد إثباتها والطريق الذي ليس فيه خطورة، والمسلك الخالي من كل ما يجلب التعب والأذى، والمصدر له وظيفة في الكناية، كما في قوله تعالى: ﴿**ولكن لا تواعدوهن سرًا....**﴾.

٩ ـ إن الطباق من المحسنات البديعية وقد ورد بين المصدرين في القرآن الكريم كثيرًا من الثلاثي المجرد والثلاثي المزيد فيه، مثل طوعًا وكرها وقياما وقعودًا، وحلال وإمساك وتسريح.

١٠ـ إن المقابلة أيضا من البديع، وهي تكون في الجملة وقد وردت في القرآن الكريم بين مصدرين كثيرًا، مثل: ﴿**وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق**﴾.

١١ـ وقد تكون المشاكلة واللف والنشر بين المصدرين فأكثر، مثل: ﴿**ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله...**﴾.

١٢- ومن المحسنات البديعية براعة الاستهلال؛ لأن المتكلم يتأنق في المطلع الذي يدل على ما سيق الكلام لأجله ليكون الابتداء دالاً على الانتهاء. وقد استخدم المصدر لهذا الغرض في القرآن الكريم كثيرًا، مثل: الحمد للّه، وسبحان الذي... .

١٣- إن الجناس من أشهر المحسنات اللفظية البديعية. وقد ورد في القرآن الكريم في غاية الحسن، مطبوعًا لا صنعة فيه ولا تكلف. وقد جاء من المشتقات جميعًا، من الثلاثي المجرد وغيره. وقد ورد جناس الاشقاق بين الفعل الماضي والمصدر، وبين الفعل المضارع والمصدر، وبين الأمر والمصدر، وبين النهي والمصدر، وبين اسم الفاعل والمصدر، وبين المصدر والمصدر، وبين المصدر والفعل الماضي، وبين المصدر واسم الفاعل، وبين المصدر والصفة المشبهة، وبين المصدر والفعل المضارع.

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة ١٤٠٥هـ.

* أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق محمد عبد المنعم الخفاجي، ط٣، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٩م.

* إعجاز القرآن، الباقلاني، ت: السيد أحمد الصغير، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٥٤م.

* إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

* الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ت: د. محمد عبد المنعم خفاجي،ط٢، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د - ت).

* بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، ت: حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧م.

* البديع لابن المعتز، اعتنى بنشره والتعليق عليه، وأعدّ فهارسه المستشرق أغناطيوس كراتشكوفسي، منشورات دار الحكمة، دمشق، (د - ت).

* البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، ود. حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

* البيان والتبيين، الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط٤، (د - ت).

* تفيسر أبي السعود، الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د - ت).

* تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ط٢، دار الفكر العربي للطباعة والتوزيع، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣.

* تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، (د - ت).

* تفسير النسفي المسمّى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن محمد بن محمود النسفي، دار الفكر، (د - ت).

* ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ت: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٨م.

* دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد رشيد رضا، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

* سرّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٦٩م.

* صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

* علم المعاني، د. درويش الجندي، ط٢، نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

* العمدة، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٧٢م.

* القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الجيل، بيروت، (د ـ ت).

* قانون البلاغة في نقد الشعر، أبو طاهر البغدادي، ت: محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.

* كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، ت: د. هادي عطية مطر، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

* كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ت: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ـ ت).

* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير الجزري، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (د ـ ت).

* المطول، سعد الدين التفتازاني، مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠هـ.

* معاني القرآن، الفراء، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤هـ.

* مفتاح العلوم، السكاكي، مطبعة التقدم العلمية، مصر، (د ـ ت).

Abstract

The Noun and its Semantics in the Qur'an

Dr. Abu Saeed Muhammad Abdul Majid,

This article aims to discuss the semantics of the noun in the Holy Qur'an. The subject is essential to understand the meanings of the Qur'an, and the successive interpreters of the Qur'an gave it special attention in their works. The role of the noun in the different lingual branches related to it is fully discussed, and the research reaches to certain conclusions that may be useful in the understanding of the noun and its semantics in the Holy Qur'an.